الملموس ، فلماذا لا « يتفاخر الاسرائيليون بالمرونة والمساواة التي تميز نظام حكمهم ، والتغني بالهدوء الذي يخيم على شبيبتهم » . (!) حيث الحديث عن الايديولوجية ودورها في قيام التناقض ، كان على الكاتبة ان تشير الى حقيقة تاريخية والتي تتمثل في ان من احدى ميزات آلة الدعاية الصهيونية ان جعلت ما هو مخالف لروح العصر الليبرالية مقبولا عالميا ، وليس محليا وحسب . فلقد شهد القرن العشرين الليبرالي ولادة دولة من طراز ايديولوجي فريد . ان اسرائيل هي نتاج الايديولوجية اكثر من اي بلد آخر ، وهي من البلدان القليلة التي سبقت فيها الايديولوجية قيام الدولة ، وهي في ذلك تخالف اوضاع الامم الاخرى . ان الدولة التي خلقتها الايديولوجية الصهيونية فريدة لانها الوحيدة بين أمم الارض اليهودية مجتمعا ولسانا ودينا .

● « لقد نجحت اسرائيل حتى الان في طريقة معالجتها لشؤون الشباب والاحداث خصوصا فيما يتعلق بالطلاب الذين سكبتهم في قالب موحد الى حد ما » . فالاهداف التي تسعى اليها السلطات ، وفقا لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة ، هي: « تنمية الوعي اليهودي ـ الاسرائيلي لدى الشبان وغرس المبادىء الصهيونية في نفوسهم ، بالاضافة الى تلقينهم قيم الحضارة اليهودية وحب اسرائيل والولاء للشعب اليهودي » . ولاجل هذه الغاية « تحتل دراسة التاريخ اليهودي مكانة هامة في البرنامج التعليمي ، كما انها تمثل مادة الزامية في الامتحان النهائي لشهادة الكفاءة » . فالشبيبة الاسرائيلية ليست متروكة على علاتها ومحرومة من العناية والالتفات ، « فالتكوين الذي تتلقاه في المدرسة تعززه النشاطات الخارجة عن حجرات الدرس » .

ان حركات الشبيبة الاسرائيلية ترمي الى جعل الشبان اكثر استجابة مع تعاليم الدولة ، وتنمي فيهم موقفا ايجابيا من « الخدمة العسكرية » . فما ان يبلغ الشبان الاسرائيليون سن الثامنة عشرة « حتى يتقدم الجيش من مجموعهم لاكمال تربيتهم واتمام تثقيفهم » . فالجيش يقوم بدور المفاعل القوي « في عملية صهر الخليط السكاني المتنافر بالبوتقة الاسرائيلية » . وتمتد نشاطاته الى ما وراء حدود صفوفه ، لكي تستأثر بحصة ملموسة من حياة اسرائيل الاقتصادية والسياسية . يبذل الجيش جهودا تتجه صوب الانماء الزراعي ، ولا سيما في مناطق الحدود ، بالاضافة الى تدريب المهاجرين الجدد والاسهام في ادماجهم الكامل . وتعكف دائرة التربية في الجيش على تنظيم دروس تتراوح « من التعليم الالزامي للعبرية الى الحساب والبيولوجيا والتاريخ والجغرافيا والادب وغيرها من المواضيع التي تهدف في المقام الاول الى رفع المستوى الثقافي لدى المهاجرين الجدد والى تسهيل عملية اندماجهم الكامل في جسم المجتمع الاسرائيلي » . ويمارس الجيش تأثيرا تكوينيا بالغ القوة على الشبيبة الاسرائيلية ، « وبما ان الخدمة العسكرية الالزامية في سن الثامنة عشرة لكل من الشبان والشابات ، فباستطاعة الجيش الوصول الى معظم عناصر الشباب في البلاد » . ان التأثير الذي يمارسه الجيش على الشبيبة ليس محصورا بسنتين او ثلاث من سنوات الخدمة العسكرية . « فالجيش يشرف على ادارة وتمويل دروس خاصة في الميكانيكا والمواضيع التقنية داخل المدارس الثانوية » . وكنتيجة لهذا ، حصلت المؤسسة الصهيونية على تأييد ودعم الطلاب لها ، وكان هؤلاء منذ عام ١٩٤٨ « موجودين فوق كل ميادين المعارك داخل البلاد » . لقد دعي اساتذة وطلاب الكيمياء والفيزياء في الجامعة العبرية الى مساعدة البالماخ والهاغانا والارغون في صنع المتفجرات ، وفي عام ١٩٦٧ ، قبل بضعة اسابيع من العدوان الاسرائيلي « تطوع الطلاب للتبرع بالدم وقيادة الاليات والحلول محل معلمي المدارس الذين استدعوا للخدمة وغير ذلك من مهمات الطوارىء».

● يتعذر على الكاتبة « العثور على تبرير لمشاركة الطلاب في مثل هذه الاعمال المؤدية للعدوان » . فهم لم يفعلوا ذلك دفاعا عن مجتمعهم ، « لان احدا لم يضطهد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ » ، وليس دفاعا عن دولتهم « اذ لم تكن اسرائيل موجودة حينذاك » . لقد حاربوا للاستيلاء على فلسطين بقوة السلاح ولاقامة الدولة الصهيونية فوق اراضيها . « ان موقفهم ينم عن تضارب كلي في موقف الطلاب الاميركيين الثائرين والذين اشعلوا النيران في حرم جامعاتهم على سبيل المعارضة لتورط بلادهم في كل من الفيتنام وكمبوديا » . وتجد الكاتبة ان « الفرق الاعظم بين الطالب الاسرائيلي وزميله في الخارج هو ان الاول جندي قبل كونه طالبا » ، وهنا تقع الكاتبة في المنزلق الذي اشرنا اليه في محل سابق ، وهو ان دولة اسرائيل كانت